كلمة :

صرخات . . من ولماذا ؟ !

- جوكاست (سوفوكليس) تصرخ وهى تشنق نفسها بوشاحها بعد أن تكتشف علاقتها الزوجية الآثمة بابنها أوديب . .
- إيفجينى (يوريبيدس) تصرخ مضحية بنفسها قرباناً لانتصار والدها أجاممنون . .
- خارميون (فرجيل) تصرخ فى وجه أورست الذى يلاحقها ويقف فى طريق حبها لبيروس . .
- خيلينا (سيناك) أميرة طروادة تصرخ فى وجه سارقها باريس دفاعاً عن زوجها ميفيلاس . .
- شيمان (كورنى) تصرخ فى وجه رودريج حبيبها وقاتل أبيها . .
- أندروماك (راسين) زوجة الراحل هيكتور الوفية له تصرخ فى وجه بيروس الذى يأسرها ، وابنها أستيانكس حتى يرغمها على الزواج منه . .

- آنيسى (موليير) تصرخ متمردة على مربيها العجوز أرنولف الذى يريد الزواج منها مفضلة عليه هوراس الشاب الذى يبادلها الحب . .
- الكترا (سارتر) تصرخ مع شقيقها أورست فى وجه أمها كليتمنسترا وعشيقها إجيست قاتلا أباهما أجاممنون . .
- متوحشة (أنوى) تصرخ فى مجتمعها الفقير الذى لا يمكنها الانتماء إلى مجتمع حبيبها الثرى والزواج منه . .

* * *

- مارسيل إيميه (الفرنسى) يصرخ مدافعا عن « رأس الآخرين » .
- فرانز كافكا (التشيكى) يصرخ معبراً عن غربة وغرابة واغتراب إنسان القرن العشرين . .
- بيتر فايس (الألمانى) يصرخ منادياً بنظام اجتماعى ثالث غير النظامين القائمين . .
- فرناندو أرابال (الإسبانى) يصرخ منددأ بضرب قريته الآمنة جرنيكا . .
- كاتب ياسين (الجزائرى) يصرخ مطالباً باستقلال بلاده حتى لو كان المحتل فرنسا بلد النور والحرية .

* * *

- ويصرخ (جان جونيه) من أجل الجزائر فى مسرحيته « الحواجز » . .
- ويصرخ (دونيس كانان) من أجل فيتنام فى مسرحيته « نحن أو الولايات المتحدة » . .
- وتصرخ (بربارا جارسون) ثأراً للراحل كنيدى الذى اغتالته الصهيونية داخل أمريكا . .

* * *

● وفى هدوء يصرخ (بيكيت) أمام عجز الإنسان وتحلل عقله وفقدانه قيمه . .

● ويصرخ (يونسكو) أمام عجز اللغة عن توصيل المعانى والأفكار بين البشر . .

● ويصرخ (آداموف) أمام حقيقة كثيراً ما ننساها أو نتناساها : حقيقة الموت . .

• • •

● ولكنهم يصرخون جميعا . . فوق المسرح !

فتحى العشرى

obeikandl.com

obeikandl.com

افتتاحية (برولوج)

الجنون فى المسرح !
والجنون بالمسرح !

المسرح لماذا ؟ وماذا ينبغى أن يقدم اليوم ؟ ولمن يقدم ؟ وماالشكل الذى يتفق مع روح العصر؟

تلك هى الأسئلة التى يثيرها مهرجان آفينيون الذى يقام بجنوبى فرنسا فى الفترة من ١٢ من يوليو إلى ١٢ من أغسطس كل عام . أما الإجابة على هذه الأسئلة الصعبة ، فتجىء من خلال العروض المتنوعة التى تقدم فى القصور والكنائس والمدارس والمنازل والحدائق والميادين إلى جانب المسارح المجهزة وغير المجهزة على السواء .

وفيما عدا المسرح الدرامى والمسرح التجريبى ومسرح العرائس والباليه فإن

obeikandl.com

المسرح الموسيقى والمسرح المفتوح هما اللذان يشكلان الجديد فى المسرح الفرنسى خاصة والمسرح العالمى بوجه عام نتيجة لجهود راديو باريس وإسهامه الفعال فى المهرجان – يكفى أنه قدم خلال فترة قصيرة ١٩ عرضاً جديداً لتسعة عشر مؤلفاً جديداً وتسعة عشر مخرجاً جديداً أيضاً .. ولا يكتفى راديو باريس بكل هذا ؛ فهو ينقل أحداث المهرجان ويغطيها على امتداد ١٧ ساعة فى اليوم تتضمن الندوات واللقاءات والأحاديث التى ينظمها الإذاعى النشيط ديكوتيل الذى تساءل فى بداية ندوة موسعة عن « الكنيسة والمسرح » بقوله : « أين نحن الآن ؟ وما مستقبل البشرية ؟ فبعضٌ يعانى من الوحدة الموحشة ، وبعض ثانٍ يعانى من الجنون المخيف ، وكثيرون مصابون بعماء البصيرة على حين أن الموت متربص بالجميع سواء عن طريق حوادث السيارات والطائرات أو تحت وابل القنابل والصواريخ !

ولما كان المسرح هو المنبر الحر للثقافة الحية فقد أراد أن يكون شعبيًّا يخاطب الطبقة العاملة ويدفع الحركات التحررية .. ولما كانت الأغنية هى فن الشعب ولغته الحقيقية فقد اعتمد عليها المسرح الموسيقى وليس الغنائى متسلحاً بكل العناصر الفنية مستفيداً من كل تطور لحق بها استعداداً لتحمل أعباء المواجهة الشاملة مع جمهور متعطش لايغفر ونقد متحفز لايرحم : بالكلمة المكتوبة ، بالتمثيل المرتجل ، بالأداء الصامت بالرقص الإيمائى ، بالإضاءة ، بالأزياء ، بالديكور ، ثم بالموسيقى الإلكترونية ، وأيضاً بالعرى الجسدى والدينى والسياسى !

إن استعراضاً سريعاً لعدد من الأعمال قد يكون كافياً لإلقاء الضوء على طبيعة هذا المهرجان العالمى برغم محليته والذى وصل عدد رواده إلى نصف مليون مواطن وسائح ، الشىء الذى لم يحدث فى تاريخ المهرجان الصيفى العريق والذى دعا هنرى دوفو العمدة الاشتراكى للمدينة البورجوازية إلى قوله : « إذا كان مهرجاننا

حيًّا فلأنه مهرجان المثقفين والشباب » .

نحن الآن فى قصر الباباوات المفتوح والذى يتسع كل ليلة لثلاثة آلاف مشاهد يعشقون المسرح ، ويؤمنون به زاداً وعبادة .. ومسرحية الليلة للأديب الراحل جاك أوديبرتى كتبها فى عنف حرب الجزائر بعنوان «الفارس وحده» وأخرجها ابنه الروحى مارسيل ماريشال مدير فرقة ليون بوسط فرنسا . أما الفارس فهو ذلك الفرنسى المسيحى الذى يحب وطنه ، ويتعصب لتراثه ولايقبل أن تسطو حضارته مهما كانت قوية على حضارات الآخرين مهما كانت ضعيفة ، وهو يستنكر فى الوقت نفسه أن تتمسح أمته التى تنادى بالحرية والمساواة والإخاء بأمة أخرى تتمسك باستقلالها وعروبتها .. ولهذا يطوف بأنحاء العالم حتى يصل إلى القاهرة ودمشق والقدس فيفاجأ بحضارات عريقة ورقيقة ، ومع هذا يرفض أن يكون مسيحاً يضحى ويتعذب ثم يموت ..

ولقد استخدم ماريشال فى إخراجه البساطة الشديدة تاركاً للكلمة فرصة التعبير والتأثير فاحتفظ بوحدة المكان برغم تعدد الأمكنة ، واعتمد على لوحة ضخمة للفنان بيزانتيوس وعلى أدائه المتمكن الرائع وخاصة فى دور الخليفة .

وفى المسرح نفسه وفى الليلة التالية نفاجأ بعرض مختلف تماماً يترك الكلمة جانباً ويلجأ إلى أسلوب المسرح الشامل مركزاً على الحركات التعبيرية العنيفة برغم أن المؤلف والمخرج امرأتان هما مارجريت ليبراكى ودومينيك بورج ، كما أن مصمم الرقصات امرأة كذلك هى آن بيرانجيه ، مما يدعو إلى إطلاق تعبير «المسرح النسائى» على هذا العرض الذى لم يلق نجاحاً لرقوعه فى هوة الخلط بعد أن فقد طوق النجاة المتمثل فى وحدة الرؤية برغم مزجه بين أكثر من أسلوب .

ونخرج من «سباراجموس» الذى سقط بين الدراما والباليه ، لنشاهد عرضين

متتالين للباليه الخالص بقاعة أوبرا آفينيون التى لاتقل روعة وليس ضخامة عن أوبرا باريس :

الأول لفرقة آن بيرانجيه التى نجحت هذه المرة فى تقديم نموذج رائع للباليه الحديث الذى يعتمد على الموسيقى الإلكترونية دون الموسيقى الكلاسيكية وعلى عدد قليل من الراقصين والراقصات لايتعدى عدد أصابع اليدين ..

أما الفرقة الأخرى – وقد كانت أكثر روعة – فتسمى : «باليه من أجل الغد» .. قدمت أكثر من نموذج ناجح لأكثر من أسلوب جديد فى عالم الباليه الحديث .. أصوات الشارع الأوربى المملوء بالحركة والضوضاء ، وكلاكسات السيارات ، وأزيز الطائرات ، وسارينات البوليس والإسعاف ، وعربات الحريق التى تنفذ إلى جراج مهجور إلا من مجموعة تتدرب على حركات الباليه الكلاسيكى .. وفى (لوحة) ثانية تدور قصة حب راقصة على أنغام أغنية أمريكية حالمة أحياناً ومجنونة فى معظم الأحيان .. وفى (لوحة) ثالثة نشهد الباليه الصامت أو الباليه البانتوميم حيث ترقص فتاتان ورجلان على إيقاع أقدامهم وحده ..

وينقلنا نجاح الباليه الحديث الملموس إلى نجاح مدو حققته عرائس بودابست داخل الأوبرا سرعان ماانتشر فى آفينيون كلها متوجاً سنوات هذه الفرقة التسع والعشرين التى تساوت بالصدفة وسنواتُ المهرجان نفسه .. وقد تميزت العرائس بطابعها الإنسانى وحركاتها الإنسانية حتى تصور المشاهدون أنهم أمام كائنات حية ، وخاصة عندما خرجت العرائس فى النهاية لتحيى الجمهور الذى ظل يصفق لها فترة طويلة ، وكانت أفضل الفقرات أمير الغابة والساحر الصينى للمجرى الراحل بيلا برتوك وفصلاً بدون حوار لصمويل بيكيت وبتروشكا لايجور سترافنسكى .

ونصل إلى عرضين مختلفين تماماً ، ولكنهما يتهكمان على المجتمع الأمريكى ويدينانه :

الأول للآفينيونى أندريه بنديتو الذى يجعل العذراء تقود سيارة أمريكية على خشبة المسرح ، ثم تقف فوقها وهى تغنى بوحشية «هؤلاء سادة المال ! هؤلاء رجال الشر ! يقتلون الماء والأرض والهواء ! يغتالون الديمقراطية ، يسفحون البشر مثلما يفعل هذا الرجل ، ثم تشير إلى نموذج خشبى لرجل أمريكى سرعان مايسقط ويتحطم ..

ويحمل العرض الآخر هذا العنوان « البصر فى الحقول » لبرنار شارتو وإخراج روبير جيروتيه الذى يعرى كل ممثلاته وممثليه مثلما يعرى البورجوازية الفرنسية والمجتمع الرأسمالى فى أمريكا .

ويهرب الجمهور من المسارح المغلقة والمفتوحة إلى الحدائق العامة حيث يستمتع بجمال وصوت آرليت تيفانى وبأداء بيير ميران وهما يقرآن على أنغام بيانو شارل لوفال أشعار بودلير وأبوللينير وإيلوار ورامبو وفرلين وغيرهم ..

إن الجنون فى المسرح هو ذلك التركيز الثورى على الفكر الجديد ، ومعارضة القديم من ناحية ، وعلى الفن إخراجاً وتمثيلاً وموسيقى وإضاءة من ناحية أخرى .. أما الجنون بالمسرح فيتمثل فى نصف مليون الزائر الذين جاءوا من أنحاء الدنيا يشاهدون فى حب وصمت ويتناقشون بصخب ، وأحياناً بعنف !